منهج الدعوة في توطين النفس على مصائب الدنيا وثمراته

إعداد

د.ماجد بن عبدالله بن إبراهيم البصيّص

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية أصول الدين والدعوة _قسم الدعوة والرقابة

mab26152615@gmail.com

المستخلص:

إنّ من الأمور التي تنتاب المسلم في حياته وتنغص عليه حلوها وزينتها مصائب يسوقها الله على عبده في دينه أو نفسه أو عرضه أو ماله، وليست المصائب منصبة على أهل الفسق والمعاصي فحسب كما يظنه البعض، وإنما تطال الأنبياء والرسل وأهل الإيمان والطاعات، وفي منهج الإسلام توطينٌ للنفس على مصائب الأيام ومكدرات الأزمان، وأجرٌ حال حلولها على الإنسان، ما دام الصبر والحمد والشكر على اللسان، والفؤاد متعلق بالرحيم الرحمن، ولتوطين النفس على المصائب بمنهج الإسلام ثمرات حسان، وغنية عن مآنسة النفس باللهو وسماع مزامير الشيطان، لمن زعم أنّ سلوك الشيطان فرج لما تعانيه النفس من مضائق الدنيا من الهمّ والأحزان.

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن منهج الدعوة في توطين النفس قبل حلول المصائب الدنيوية، وإبراز منهج الدعوة عند حلولها، وبيان ثمرات التمسّك بمنهج الدعوة حال المصائب الدنيوية، وتحتوي الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث تشتمل على عشرة مطالب وخاتمة فيها النتائج والتوصيات، ثم المصادر والمراجع، وأسأل الله أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

الكلمات المفتاحية: منهج الدعوة - توطيد النفس - تهيئة النفس – المصائب - الابتلاءات.

Abstract:
Among the things that befall a Muslim in his life and spoil its sweetness and beauty are the calamities that Allah sends upon His servant in his religion, soul, honor and wealth. The calamities are not only directed at the sinners and wrongdoers, as some think, but they also affect the prophets, messengers, and believers. In Islam, the soul is prepared for the calamities and troubles, and there is a reward when they befall a person, as long as patience, praise, and gratitude are on the tongue, and the heart is attached to the Most Merciful, the Most Compassionate.Preparing the soul for calamities according to the Islamic approach has beautiful fruits, and it is sufficient for the soul to be comforted by distractions and listening to the flutes of Satan, for those who claim that Satan's path is a relief from the soul's suffering from the hardships, worries and sadness of this world.
This study aims to reveal the approach of the Da'wah in preparing the soul before the occurrence of the worldly calamities, and highlightDa'wah'sapproach when such worldly calamities occur, and explain the fruits of adhering to theDa'wah's approach during the worldly calamities. This study consists of an introduction, three chapters that are divided into ten points, a conclusioncontaining the results and recommendations, followed by references .
Keywords: Da'wah's approach - Strengthening the soul - Preparing the soul - Calamities –Afflictions.

المقدمة:

الحمدلله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبيّنا محمد، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فإنّ من الأمور التي تنتاب المسلم في حياته وتنغص عليه حلوها وزينتها مصائب يسوقها الله على عبده في دينه أو نفسه أو عرضه أو ماله،والمصيبة كل ما يؤذي المؤمن ويصيبه، ويطلق عليها النكبة ينكبها الإنسان وإن صغرت وضعفت، وتستعمل في الشرّ،ومن أعظم المصائب المصيبة في الدين(١)،وليست المصائب منصبة على أهل الفسق والمعاصي فحسب كما يظنّه البعض، وإنما تطال الأنبياء والرسل وأهل الإيمان والطاعات.

ومن الحِكَم في ابتلاء الله أنبياءَه ورسله وعباده المؤمنين ما تتقاصر عقول العالمين عن معرفته، وهل وصل من وصل إلى المقامات المحمودة والنهايات الفاضلة إلا على المصائبوالمحنة والابتلاء(٢)،فيرفع الله بها المنازل والدرجات.

فالله عنده من المنازل العالية في دار كرامته ما لا ينالها إلا أهل المصائب والبلاء(٣)، ويكفر بها عن أهل المعاصي الذنوب والزلات. وفي منهج الإسلام توطينٌ للنفس على مصائب الأيام ومكدرات الأزمان، وأجرٌ حال حلولها على الإنسان، ما دام الصبر والحمد والشكر على اللسان، والفؤاد متعلق بالرحيم الرحمن، وتوطين النفس على المصائب بمنهج الإسلام له ثمرات حسان،وغنية عن مآنسة النفس باللهو وسماع مزامير الشيطان، لمن زعم أنّ سلوك الشيطان فرج لما تعانيه النفس من مضائق الدنيا من الهمّ والأحزان،وهذه الدراسة تتناول **(منهج الدعوة في توطين النفس على مصائب الدنيا وثمراته)**.

أهمية الدراسة:

تتضح أهمية الدراسة في النقاط التالية:

١. كثرة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي فيها تهيئة للنفس قبل حلول الصدمات الدنيوية وأثناء وقوعها، وتبيّن ثمراتها لمن امتثل هدي الشريعة والإسلام.

٢.كثرة التصرفات الخاطئة من المدعوين عند نزول المصائب بهم، مما قد يلحق بهم صدمات نفسية تلازمهم طيلة حياتهم، جراء عدم لزوم المنهج الدعوي في توطين النفس قبل نزول المصائب عليها.

٣.تصحيح المفاهيم العالقة بأذهان بعض أفراد المجتمع الإسلامي بأنّ المصائب مقتصرة على أصحاب المعاصي والذنوب.

أسباب اختيار الدراسة:

---

(١)انظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ١٧٦/٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، ٣٠١/١، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) انظر: جامع المسائل لابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ٩٢/٣، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ.

١.الحاجة إلى بيان المنهج الدعوي في كيفية توطين النفس على المصائب التي تحلّ بالأفراد والمجتمعات وكيفية معالجتها حال نزولها بمنهج شرعي قويم.

٢.ظهور بعض التصرّفات المستوحاة من الثقافات الأجنبية باستبدال المنهج الشرعي بوسائل وطرق غير شرعية كاستخدام تقنيات الاسترخاء كايوغا(١)، وما يصاحبها من مخالفات شرعية.

٣.الحاجة إلى بيان ثمرات التمسّك بمنهج الدعوة حال المصائب الدنيوية؛ ليكون سببًا في تخفيف ألم المصاب.

أهداف الدراسة:

١.الكشف عن منهج الدعوة في توطين النفس قبل حلول المصائب الدنيوية.

٢.إبراز المنهج الدعوي في تهدئة النفس عند حلول المصائب الدنيوية.

٣.بيان ثمرات التمسّك بمنهج الدعوة حال المصائب الدنيوية.

تساؤلات الدراسة:

السؤال الرئيس:ما منهج الدعوة في توطين النفس على مصائب الدنيا وثمراته؟، ويتفرع منه ثلاثة أسئلة:

١. ما منهج الدعوة في توطين النفس قبل حلول المصائب الدنيوية؟

٢.ما المنهج الدعوي في تهدئة النفس عند حلول المصائب الدنيوية؟

٣.ما ثمرات التمسّك بمنهج الدعوة حال المصائب الدنيوية؟

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث دراسة علمية عنيت بالمنهج الدعوي في توطين النفس وتهيئتها قبل نزول المصائب وحال نزولها، وإنما وقف على دراسات تعنى بالمصائب في تخصصات شرعية مختلفة، وأبرزها:

الدراسة الأولى: في علوم القرآن، وهي: المقاصد العامة للابتلاء من خلال القرآن الكريم، سرطوط يوسف، وهي بحث منشور في مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، المركز الجامعي نور البشير بالجزائر، المجلد ١٤، العدد الثالث من عام ٢٠٢١م.

احتوى البحث على مقدمة ومبحثين، أولهما:تحديد المفاهيم الأساسية للموضوع، والثاني: المقاصد العامة للابتلاء، ثم خاتمة.يتبين بعد الاطلاع على البحث أنّ الباحث ركّز على أنواع الابتلاء وذكر أنه في الخير والشر، وأنّ هناك ابتلاء بالطاعات والمعاصي والأوامر والنواهي، وأنّ المقاصد العامة للابتلاء التمييز بن المفلحين والخاسرين، والعدالة بين العاملين، وتربية النفوس وتزكيتها.وقد استفاد البحث الحالي من هذه الدراسة، وتتمثل إضافته العلمية في بيان المنهج الدعوي في توطين النفس على مصائب الدنيا وإبراز ثمراته.

---

(١) وهي عقيدة شركية لارتباطها الوثيق بالديانة الهندوسية وطقوسها التي تتضمن عبادة الشمس، ورموزًا وأسماءً لآلهة هندوسية، يزعم أنها تفرج الهموم، يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "أنّ المشابهة في الظاهر تورث نوع ولاء ومودة ومحبة وموالاة في الباطن، كما أنّ المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحسّ والتجربة".انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ٧٥/١١، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤١٩هـ.

الدراسة الثانية:في علوم القرآن أيضًا، وهي:وسائل تهوين المصيبة في القرآن الكريم دراسة موضوعية، للدكتور محمد مطني أحمد، وهي بحث منشور في مجلة كلية الدعوة الإسلامية التابعة لجامعة الأزهر، في عددها السابع والثلاثين من عام ٢٠٢٣م المجلد الأول.

احتوى البحث على مقدمة ومبحثين، أولهما: مفهوم تهوين المصيبة في القرآن الكريم، والثاني: وسائل تهوين المصيبة في القرآن الكريم. وبعد الاطلاع تبيَّن تركيز البحث على الآيتين الواردتين في سورة البقرة، وهما قوله سبحانه: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) [(١)]، وتخلص منهما أنواع المصائب، ووسائل تهوين المصيبة المذكورة.ولا شكّ في أنّ هذه الدراسة مفيدة للبحث الحالي، ويتميز عنها ببيان المنهج الدعوي في توطين النفس على مصائب الدنيا وإبراز ثمراته.

الدراسة الثالثة:في الثقافة الإسلامية وهي: المحن والمصائب في الإسلام، للباحث د.عبدالحميد إبراهيم سلطان، وهي بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة المرقب، ليبيا، في العدد الثامن والعشرين، مارس ٢٠٢٤م.

احتوى البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة،في المبحث الأول أنواع المحن والمصائب، والمبحث الثاني: الحكمة من المحن والمصائب وأسبابها ونهايتها وأقوال العلماء فيها.ويظهر من البحث اختصاصه بالمجال الثقافي الإسلامي، ويتبين بعد الإطلاع على البحث أنّ الباحث ركّز على بيان معاني المحن والمصائب والفرق بينهما، وبيان أنواع المحن وأسبابها. ومع الاستفادة من هذه الدراسة يختلف عنها هذا البحث الذي يبيّن ضمن دراسته المنهج الدعوي في توطين النفس على مصائب الدنيا ويبرز ثمراته.

منهج الدراسة:

سيستخدم الباحث في دراسته منهجين من مناهج البحث العلمي:

١.**المنهج الاستقرائي:**وهو تتبّع جزئيات الموضوع كلها أو بعضها؛ للوصول إلى حكم عام يشملها جميعًا[(٢)]، وهو منهجٌ مستخدَمٌ لتتبّع النصوص الشرعية من الكتاب والسنة الدالة على تهيئة النفس وتوطينها على مصائب الدنيا ومكدراتها، وثمرات الامتثال بمنهج الشرع الحكيم حال المصائبحسب الخطة البحثية.

٢. **المنهج الاستنباطي:**وذلك بالوقوف على النصوص الشرعية من الكتاب والسنةالتي تعنى بعنوان الدراسة؛ ليتمّ استنباط المنهج الدعوي منها، ومدى إمكانية توظيفه في كيفية توطين النفس على مصائب الدنيا، والحصول في ثمرات ذلك.

تقسيم الدراسة:

تتكون الدراسة من مقدمة وثلاثة مباحث يحوي كل واحد منها مطالب، ثم خاتمة مذيّلة بالمصادر والمراجع.

---

(١) سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧.

(٢) انظر: البحث العلمي، د. عبد الرحمن عدس وآخرون، ط: ١، ١٤١٦ه، دار أسامة، الرياض، ص: ٤١.

المقدمة: فيها أهمية الدراسة، وأسباب اختيار الدراسة، وأهدافها، وتساؤلاتها، والدراسات السابقة،
ومنهج الدراسة وتقسيمها.
المبحث الأول: منهج الدعوة في توطين النفس قبل حلول المصائب الدنيوية، وفيه خمسة مطالب، وهي:
المطلب الأول: توطين النفس بسؤال الله الهداية في حياته كلها.
المطلب الثاني: توطين النفس بتحقيق الإيمان بالله والتسليم له بالقدر خيره وشرّه.
المطلب الثالث: توطين النفس بمصاب الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام- في دنياهم.
المطلب الرابع: توطين النفس بمصاب النبي -ﷺ- وصحبه - رضي الله عنهم-في دنياهم.
المطلب الخامس: توطين النفس بتحمّل مصائب الدنيا المقبلة.
المبحث الثاني: منهج الدعوة في تهدئة النفس عند حلول المصائب الدنيوية.
المطلب الأول: الاعتراف إلى الله بالتقصير والإنابة إليه بالتوبة.
المطلب الثاني: الصبر على المصيبة حتى يأذن الله برفعها.
المطلب الثالث: الالتجاء إلى الله بالدعاء.
المبحث الثالث:ثمرات التمسّك بمنهج الدعوة حال المصائب الدنيوية.
المطلب الأول: تقرير العبودية لله سبحانه.
المطلب الثاني: تمييز الصادق بمجاهدته في الله.
المطلب الثالث:إنّ عظم البلاء من عظم الجزاء.
الخاتمة: فيها أهمّ نتائج الدراسة وتوصياتها.
المصادر والمراجع.

المبحث الأول: منهج الدعوة في توطين النفس قبل حلول المصائب الدنيوية

إنّمن منهج الدعوة في توطين النفس قبل حلول المصائب الدنيوية النظر في مصاب من سبق وسلف ممن نزلت بهم الملمات،والتأسّي بأهل المصائب من أنجع سبل التهيئة للنفس،وليعلم المسلم أنّ بكل وادٍ بني سعدٍ، ولو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلًى، إمّا بفوات محبوب أو حصول مكروه،وإن أضحكت الدنيا قليلًا أبكت كثيرًا، وإن متعت قليلًا منعت طويلًا، وما ملأت دارًا خيرة إلا ملأتها عبرة، ولا سرته بيوم سرور إلا خبأت له يوم شرور(١)، فهي كما وصفها أبو البقاء الرندي في رثاء الأندلس:

هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْـهَا دُوَلٌ * مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ(٢)

وخير من يُتأسَّى بهم في المصاب هم الأنبياء والرسل– عليهم الصلاة والسلام-، وخير الرسل والأنبياء نبينا محمد -ﷺ-، وخير الأمم أمته، وأفضلهم صحبه الكرام–رضي الله عنهم، فهم جميعًا ليسوا بمنأى عن المصاب، فليست العصمة في الرسل ولا الأنبياء إلا ما كان في تبليغ الدين والكتاب، قال سبحانه: ا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٣)، وقد قرّر أهل العلم بأنّ العصمة في تبليغ الدين،فإنّ الآيات الدالة على نبوة الأنبياء دلت على أنهم معصومون فيما يخبرون به عن الله، فلا يكون خبرهم إلا حقًّا ودعوتهم إلا صدقًا، وهذه هي النبوة،فتتضمن أنّ الله ينبئه -ﷺ- بالغيب وأنه ينبئ الناس بالغيب، وهو مأمورٌ بدعوة الخلق وتبليغهم رسالات ربهم(٤).

وليس للأنبياء والرسل– عليهم الصلاة والسلام-عصمة في صغائر الذنوب، ولا يقرّهم الله على ذلك،وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر ولا يقرون عليها، ولا يقولون إنها لا تقع بحال، وأول من نقل عنهم القولَ بالعصمة مطلقًا، وأعظمهم قولًامن طوائف الأمة الرافضةُ، فإنهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل(٥).

تنزل المصائب بالأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام- ليكون للأمة درسًا بأنّ المصاب قد يكون في الأنبياء، ومن بعدهم أولى؛ لذا يكون من المهم توطين النفس على مصابهم ومصاب خير القرون من أمة محمد -ﷺ-، وتوطينها بسوق أنواع المصاب التي سيقت في نصوص الوحيين؛ لذا ينقسم هذا المبحث إلى خمسة مطالب.

المطلب الأول: توطين النفس بسؤال الله الهداية في حياته كلها

إنّ هداية التوفيق بيد الله سبحانه، وبها تحلّ البركات وتستقرّ النفوس وتقطع مفاوز الدنيا وكدراتها، وقد أمر الله عباده بسؤالها منه وحده، قال العزيز الغفار: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، ١٧٣/٤، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، ط١٤، ١٤٠٧ه.
(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، ت: إحسان عباس، ٤٨٧/٤، دار صادر، بيروت، لبنان.
(٣) سورة المائدة: ٦٧.
(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٨/٧، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ، ط٢.
(٥) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، ٣٢٠/٤.

[١]،أي: دلنا وأرشدنا ووفقنا للصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إليه–سبحانه وتعالى-، وإلى جنته، وهو معرفة الحقّ والعمل به، فالهداية إلى الصراط لزوم دين الإسلام القويم وهديه المستقيم، وتشمل الهداية جميع التفاصيل الدينية علمًا وعملًا[٢]. والعبد مفتقر في كل أوقاته وفي جميع أحواله إلى هذه الهداية في جميع ما يأتيه ويذره من أمور دينه ودنياه، وعند مصابه يشتدّ الخطب بها[٣]، ومفتقرٌ كذلك إلى الله في كل شؤونه الدينية بتوطين النفس قبل حلول المصيبة وأثنائها، فالدين هو البلسم ومن اعتصم به هدي.

وهذا الدعاء العظيم في سورة الفاتحة أمّ الكتاب التي لا تصح ركعة بدونها حال نسيانها، ويتكرر ترددها في اليوم والليلة سبعة عشرة مرة في صلاة الفرض فضلًا عن صلاة النفل، ولأهمية سؤال الله الهداية كان النبي -ﷺ- يكثر من سؤالها، ويتأوّل القرآن في دعائه، فلما سئلت عائشة أم المؤمنين–رضي الله عنها-بأيّ شيءٍ كان نبي الله -ﷺ- يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته،"اللهمّ ربّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون،اهدني لما اختلف فيه من الحقّ بإذنك، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم"[٤]. والاعتصام بحبل الله المتين والتمسّك بدينه هو المؤنس للمسلم قبل مصيبته وأثنائها، قال السميع العليم: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ [٥]، ومن يتعلق بأسباب الله ويتلمس مرضاته، ويتمسك بدينه وطاعته فقد هدى ووُفِّق لطريق واضح، ومحجة مستقيمة غير معوجة ولا ملتوية، فيستقيم به إلى رضى الله، وإلى النجاة من عذاب الله والفوز بجنته[٦].

وتوطين النفس على مصائب الدنيا يحتاج إلى مجاهدة وإرغام على طاعة الله، قال السميع الحكيم: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [٧]،والرسول-ﷺ- وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين لنبصرنهم سبلنا في الدنيا والآخرة بمجاهدتهم في ديننا[٨].

وسؤال الراسخين في العلم ألّا يزيغ الله قلوبهم عن الهداية، قال سبحانه: رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ [٩]، مما يدلّ على افتقار العبد إلى هذا النوع من الهداية، وضرورة سؤالها من الله – جلّ وعلا-.ومواطن الهداية الموصلةإلى توطين النفس قبل حلولها تكمن في جوانب عدة أبرزها:امتثال كتاب الله والعمل به، قال السميع البصير: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ

---

(١) سورة الفاتحة: ٦.
(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص ٣٩، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
(٣) انظر: الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي-ﷺ- من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، ص٢٠٥، دار ابن حزم، قبرص، بيروت، ط١، ١٤١٦ه.
(٤) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، (١٨٤٧)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(٥) سورة آل عمران: ١٠١.
(٦) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، ٦١/٧، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
(٧) سورة العنكبوت: ٦٩.
(٨) انظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ٢٩٦/٦، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ.
(٩) سورة آل عمران: ٨.

لِلْمُؤْمِنِينَ [١]، ويؤكّد المولى سبحانه على هداية القرآن لمن يتمسّك به،يقول –عزّ وجلّ-:إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا [٢]،وإن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم بهدي الناس الطريقة التي هي أقوم من غيرها من الطرق وهي ملة الإسلام[٣].فمن تمسّك بالقرآن قبل مصابه فإنه لن يضل ولن يشقى،وهدي للرشد والتقى، قال تعالى: فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ [٤]، وخشية الله وأداء فروضه، ومنها الصلاة في بيوت الله، قال السميع العزيز: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ [٥].واعلم أنّ اعتبار إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة عمارة للمسجد، وذلك لأنّ الإنسان إذا كان مقيمًا للصلاة فإنه يحضر في المسجد،وإذا كان مؤتيًا للزكاة فإنه يحضر في المسجد طوائف الفقراء والمساكين لطلب أخذ الزكاة فتحصل عمارة المسجد به، وإنّ الذين يأتون بهذه الطاعات إنما يأتون بها على رجاء الفوز بالاهتداء،و(عسى) من الله واجب لكونه متعاليًا عن الشكّ والتردّد[٦]،فيكون محضن مساجد الله بيئة خصبة لتوطين النفس على مستقبل الزمان.

فالهداية نور يستضاء به في مدلهمات الدهر، قال سبحانه: اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [٧].

فعلاقة الهداية مرتبطة بعضها ببعض، فمن كان مهتديًا قبل نزول مصيبة دنيوية عليه فإنّ الله يثبته، قال السميع الكريم: يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ [٨]،وتثبيتهم به في الدنيا أنهم إذا فتنوا في دينهم لم يزلّوا عن الحقّ، كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود، والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد[٩].

فيبغي للمسلم أن يسأل ربّ العباد الهداية في يومه وليلته؛ ليستعين بها على الثبات على الدين، ليكون لها الأثر يوم المصاب وفي يوم التلاق.

المطلب الثاني: توطين النفس بتحقيق الإيمان بالله والتسليم له بالقدر خيره وشره

إنّ الإيمان بالله أصلٌ من أصول الدين وأساسٌ من أسسه العظام، فالإيمان بالله يتضمن بقية أصول الإيمان الخمسة، والإيمان بها من الأمور المهمة في توطين النفس قبل نزول المصائب على المسلم، فيؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ويؤمن بالقدر خير

(١) سورة يونس: ٥٧.
(٢) سورة الإسراء: ٩.
(٣) انظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ٣٥٣/٣، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
(٤) سورة الجن: ١-٢.
(٥) سورة التوبة: ١٨.
(٦) انظر: مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ١١/١٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
(٧) سورة النور: ٣٥.
(٨) سورة إبراهيم: ٢٧.
(٩) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ٥٥٤/٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

وشره،فمن رام الدنيا بسلام وصفاء وعافية من غير بلاء فقد طلب المحال، فما عرف التكليف ولا فهم التسليم(١).فما أصاب من مصيبة في نفس أو مال أو قول أو فعل يقتضي همًّا أو يوجب عقابًا عاجلًا أو آجلًا فإنه بعلم الله وقضائه، فيصدق ويعلم أنه لا تصيبه مصيبة إلا بإذن الله، ومن يكن كذلك يهد قلبه للصبر والرضا ويثبته على الإيمان(٢).

تعددت الآيات الدالة على أنّ الله يبتلي عباده ويمتحنهم بمصائبهم؛ ليرفع بها الدرجات والمقامات، ويكفر بها الخطايا والزلات، فالابتلاء والامتحان وحلول المصائب سنة الله في خلقه، فالعوارض والمحن هي كالحرّ والبرد، فإذا علم العبد أنه لا بدّ منهما لم يغضب لورودهما ولم يغتم لذلك ولم يحزن(٣).وكان أمر الله بإيقاع شيء أو وعيده أو ما حكم به وقضاه مفعولًا نافذًا وكائنًا لا مناص، فيقع لا محالة ما أوعدتم به إن لم تؤمنوا(٤).

إنه ينبغي توطين النفس على الإيمان بالله والتسليم له بالقدر خيره وشره، وتهيئتها على هذا الأساس وتبصيرها على أنّ أمر الله في خلقه مفعولٌ لا محالة من خير أو شرّ، نافع أو ضار، قال تعالى: وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٥)، وأكد المولى سبحانه أنّ أمره مقدرٌ ومشيئته نافذة على خلقه، قال –عزّ وجلّ-: وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا (٦)، فالله خلق العباد ليعبدوه توحيدًا وطاعة له، وجعل طريق العبادة محفوفًا بالمصائب والابتلاءات، قال العزيز الحكيم: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا(٧)،نبتليه في موضع الحال، فخلقناه مبتلين له مريدين ابتلاءه،فأعطيناه ما يصحّ معه الابتلاء من سمع وبصر كنايتان عن الفهم والتمييز(٨).

فالمصائب التي يصاب بها الناس هي امتحان واختبار من الله، فالمدّعي الإيمان يبتلى، وتوطين النفس على هذا المبدأ الأساس تسلية لها إن وقعت عليها المصائب، قال العزيز الحميد: أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٩)، أنّ الناس لا يتركون دون فتنة وابتلاء ومصاب بمجرد ادعاء الإيمان، بل يمتحنون ويختبرون بأنواع الابتلاء، حتى يتبين بذلك الابتلاء الصادق من غير الصادق(١٠).

ويؤكّد سبحانه أنّ ابتلاء عباده متى ما استُحْضِرَت النية لله؛ ليتبين من هو أفضل عملًا وأحسن صنعًا، قال –عزّ وجلّ-:إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (١١)،فالمقصود من خلقه الأرض وما عليها من زينة وما فيها من المصالح ابتلاء الخلق بهذه التكاليف، ثم إنهم يكفرون ويتمردون، ومع ذلك فلا أقطع عنهم مواد هذه النعم(١٢).

---

(١) انظر: صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ص٣٠٢، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٥ه.
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٣٩/١٨.
(٣) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، ٣٨٩/٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣ه.
(٤) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ٧٧/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
(٥) سورة النساء: ٤٧.
(٦) سورة الأحزاب: ٣٨.
(٧)سورة الإنسان: ٢.
(٨)انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٧٤١/٣٠.
(٩) سورة العنكبوت: ٢.
(١٠) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ١٥٥/٦، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ١٤١٥هـ.
(١١) سورة الكهف: ٧.
(١٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني،

ويسوق ربنا وهو الرحمن الرحيم صنوفًا من أنواع المصائب ويهيئنا عليها لنكون على بصيرة وعلم بهذه المصائب، فقال العليم الحكيم: وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١)، أعلمهم بهذا؛ ليكونوا على يقين جازم منه أنه يصيبهم، فيوطنوا أنفسهم عليه فيكونوا أبعد من الجزع والتحسّر، وفيه تعجيل ثواب الله تعالى على العزم وتوطين النفس(٢). ولنعلم أنّ المصائب ليست محض صدفة وخرص دون علم مسبق منه–سبحانه وتعالى-، وهي مقررة في الكتاب المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض، قال السميع البصير: مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٣)، ما أصاب من مصيبة في الأرض إلا في كتاب بعلم أزلي من قبل خلق المصيبة أو الأنفس، وما علم الله كونه فلا بدّ من حصوله، فإنّ ذلك على الله يسيرٌ لسعة علمه وإحاطته، وأعلمناكم بأنَّا قد فرغنا من التقدير، فلا يتصور فيه تقديم ولا تأخير ولا تبديل ولا تغيير، فلا الحزن يدفعه، ولا السرور يجلبه ويجمعه(٤).

فتوطين النفس بتحقيق الإيمان بالله والتسليم له بالقدر خيره وشره مهمٌّ للغاية قبل حلول المصائب ونزولها على المسلم، فليست المصائب على المتقين بشرٍّ محض ولا خير محض، فحقيقة الخير ما زاد نفعه على ضرّه، وحقيقة الشرّ ما زاد ضرّه على نفعه، وأنّ خيرًا لا شرَّ فيه هو الجنة، وشرًّا لا خير فيه هو جهنم؛ ولهذا صار البلاء النازل على الأولياء خيرًا وليس شرًّا؛ لأنّ ضرره من الألم قليل في الدنيا، وخيره وهو الثواب كثير في الآخرة(٥).

وتوطين النفس على الإيمان بالله وتعزيز الإيمان بالقدر خيره وشره أساسٌ مهمٌّ لتهيئة المسلم قبل حلول المصاب، فحريٌّ بالدعاة إلى الله والمصلحين التفطّن إلى هذا، ويظهر ذلك في العيان حال شهود المصاب بثبات وربط جأش لمن آمن بربه وسلم الأمر لمقدِّر المصاب.

المطلب الثالث: توطين النفس بمصاب الأنبياء والرسل–عليهم الصلاة والسلام-في دنياهم

إنّ الله ساق لنا في كتابه الكريم صنوفًا من الابتلاءات التي نزلت على الأنبياء والرسل–عليهم الصلاة والسلام-،حيث ابتلوا في دينهم، وهو أشدها أو في نفوسهم أو في أعراضهم أو في أموالهم، فالمصاب في الناس سنة، والأنبياء آكد؛ لمنع الشكّ والظنّ بأنّ لهم من الأمور الربوبية شيئًا، ولقد أكد الله سبحانه لنبيه محمد -ﷺ-أنّ سنته نافذة على الرسل من قبلك بنزول المصائب عليهم، قال السميع البصير: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٦)، ذكر حال الأمم الماضية السالفة؛لكي يعتبروا ويتعظوا، فكذبوهم على وجه

٤٢٦/١٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

(١) سورة البقرة: ١٥٥.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧٣/٢.

(٣) سورة الحديد: ٢٢.

(٤)انظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، ١٥٢/٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

(٥)انظر: أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، ٣٦٣/٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ.

(٦)سورة الأنعام: ٤٢.

الإضمار فأخذناهم بالخوف والشدة والفقر وسوء الحال والجوع ونقص الأموال والأنفس لكي يرجعوا إليه ويؤمنوا به(١).

فخير من يتأسَّى ويقتدَى بهم صفوة الخلق من البشر،وهم الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام- في مصابهم؛ ليكون ذلك توطينًا للنفس وتهيئة لها متى ما نزل بها مصاب، وبالنظر في مصاب الأنبياء والرسل–عليهم الصلاة والسلام- تثبت النفس، قال السميع الحكيم: وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢)،والإنسان إذا ابتلي بمصيبة أو محنة وإذا رأى له فيها مشاركًا خفّ ذلك على قلبه وسكنت نفسه، كما يقال: المصيبة إذا عمّت خفّت، فإذا سمع الرسول -ﷺ- هذه القصص، وعلم أنّ حال جميع الأنبياء -صلوات الله عليهم- مع أتباعهم هكذا، سهل عليه تحمّل الأذى، وأنّ المعارف الإلهية لا بدّ لها من قابل ومن موجب، وهو إصلاح القلب، وهو تثبيت الفؤاد(٣).

وقد يصاب الأنبياء ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآلام والأسقام؛ ليعظم لهم بذلك الأجر وتزداد درجاتهم رفعة، وليتأسى ويقتدى بهم أتباعهم(٤). ولما سئل الإمام الشافعي -رحمه الله-:أيما أفضل للرجل أن يمكّن أو يبتلى؟ فقال الشافعي: لا يمكّن حتى يبتلى، فإنّ الله ابتلى نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا -صلوات الله وسلامه عليهم- أجمعين، فلما صبروا مكّنهم، فلا يظنّ أحد أنه يخلص من الألم البتة، وهذا أصلٌ عظيمٌ، فينبغي للعاقل أن يعرفه، وهذا يحصل لكل أحد وهو الاختبار الذي لا مفرّ منه(٥).

لذا من المهم النظر في قصص الأنبياء والرسل– عليهم الصلاة والسلام- والتأمّل في مجريات حياتهم التي ساقها الله في كتابه العزيز؛ ليكون ذلك دافعًا إلى تهيئة النفس وتوطينها على مصائب الدنيا وابتلاءاتها، فآدم - عليه السلام- ابتلي بطاعته للشيطان ومخالفته لأمر ربه سبحانه فأخرج من الجنة، وتاب فتاب الله عليه، قال عزّ وجلّ-:فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (٦).واعلم أنّ واقعة آدم عجيبة؛ لأنّ الله تعالى رغّبه في دوام الراحة وانتظام المعيشة من باب الاحتراس، ورغّبه إبليس أيضًا في دوام الراحة إلا أنّ إبليس دفعه إلى الإقدام على ما نهاه الله عنه،ومن تأمّل في هذا الباب طال تعجّبه وعرف أنه لا دافع لقضاء الله ولا مانع منه، وأنّ الدليل وإن كان في غاية الظهور ونهاية القوة فإنه لا يحصل النفع به إلا إذا قضى الله تعالى ذلك وقدره(٧).

ومصاب نوح- عليه السلام-بابنه وذلك بعدم إيمانه ساقه الله في كتابه العزيز، فقال السميع العليم: وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٨).

(١)انظر: بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، ٤٤٧/١، ب.ط.
(٢)سورة هود: ١٢٠.
(٣)انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٤١٣/١٨.
(٤)انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ٣٧٣/٧، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ه.
(٥)انظر: الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، ص٢٠٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣ه.
(٦)سورة طه: ١٢١.
(٧)انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ١٠٧/٢٢.
(٨)سورة هود: ٤٢-٤٣.

وكذلك مصاب إبراهيم - عليه السلام- بعدم استجابة أبيه له، فقال تعالى: قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا [١]، فقابل استعطافه ولطفه في الإرشاد بالفظاظة وغلظة العناد، وهذا يزيد من المصيبة ووقعها على النفس لا سيما أنّه من أقرب الناس إليه، فناداه باسمه، وأخّره وقدّم الخبر على المبتدأ، وصدّره بالهمزة لإنكار الرغبة نفسها على ضرب من التعجّب، كأنها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدّده إن لم ينته عن دعوته، فسوف يكون الهجر زمانًا طويلًا[٢].

كما ذكّرنا الله تعالى بمصيبته - عليه السلام- بعصيان قومه له، فردّوا دعوة ربهم عليه، وكادوا له المكيدة فألقوه في النار، قال القويّ العزيز: قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨)[٣]،فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليد والقوة والقهر، ونجّاه الله من النار وأظهره عليهم وأعلى حجّته ونَصَرَها[٤].

وبمصابه - عليه السلام- بالرؤية الصادقة بذبح ابنه ثمرة فؤاده،ويتولى الذبح بنفسه امتثالًا لرؤياه - عليه السلام-، ورؤيا الأنبياء صدق وحقّ، قال العزيز الرحيم: قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ [٥]، وابتلاء الخليل بذبح ولده مخالفة للطبع، ودواعي النفس والشهوة ومفارقة حكم طبعها، فإنّ هذه هي النكتة التي من أجلها كان صالح البشر أفضل من الملائكة؛لأنّ الملائكة عبادتهم بريئة عن شوائب دواعي النفس والشهوات البشرية، فهي صادرة عن غير معارضة ولا مانعولا عائق[٦].

ولوط - عليه السلام- ابتلي بمصاب زوجته بعدم إيمانها ولحوق العذاب بها، فقال العزيز الحكيم: قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ [٧]،لما ضاق بنبي الله الأمر كشف الله عنه الضرّ فعرف إليه الملائكة، وأمروه بالخروج هو وقومه من بينهم، ولْيعلم أنّ من شاركهم في عملهم بنوعٍ فله من العذاب حصة، ومن جملتهم امرأته، وإنّ العقوبة لاحقة بها، مدركة لها، والإشارة منه أنّ الجسارة على الزلة وخيمة العاقبة ولو بعد حين، ولا ينفع المرء اتصاله بالأنبياء والأولياء إذا كان في الحكم والقضاء من جملة الأشقياء[٨].

ومصاب يعقوب - عليه السلام- بفقد ابنه يوسف حينًا من الدهر حتى كفّ بصره من شدة المصاب مما ينبغي التأسي به لتوطين النفس وتقوية إيمانها، قال العزيز الغفور: وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ [٩]،فالواجب على كل مسلم إذا أصيب بمكروه في نفسه أو ولده أو ماله أن يتلقى ذلك بالصبر الجميل، والرضا والتسليم لمجريه عليه وهو العليم الحكيم، والأسف شدة الحزن على ما فات، وإنما ابيضّت عينا يعقوب -

---

(١)سورة مريم: ٤٦.
(٢)انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ١٢/٤.
(٣)سورة الصافات: ٩٧-٩٨.
(٤)انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٦/٧.
(٥)سورة الصافات: ١٠٥-١٠٧.
(٦)انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، ص٣٤٩، دار ابن القيم، الدمام، ط٢، ١٤١٤ه.
(٧)سورة هود: ٨١.
(٨)انظر: لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، ١٤٩/٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣.
(٩)سورة يوسف: ٨٤.

عليه السلام- من البكاء، وسبب البكاء الحزن، فالحزن ليس بمحظور، وإنما المحظور الولولة وشقّ الثياب، والكلام بما لا ينبغي(١).

ويوسف - عليه السلام-مصابه بتكالب إخوته عليه، فألقوه في البئر ودعوا على أبيهم كذبًا بأكل الذئب له، وباعوه كعبد بدراهم معدودة،قال العزيز الرحيم: فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ (٢)، ومراودة امرأة العزيز ليوسف - عليه السلام-، فقال الغفور الرحيم: وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣)، وهذا ابتلاء يوسف الصديق ومصابه بما فعل به إخوته من الأذى والإلقاء في الجبّ وبيعه بيع العبيد، والتفريق بينه وبين أبيه، وابتلائه بمراودة المرأة له،فهذا هو المصاب الذي صبر معه مثل الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم صلوات الله عليهم أجمعين(٤).

ومصاب أيوب - عليه السلام- بمرض في جسده، قال عنه التواب الرحيم: وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٥)،واذكر عبدنا ورسولنا أيوب - مثنيًا معظّمًا له، رافعًا لقدره - حين ابتلاه بمصاب شديد، فوجده صابرًا راضيًا عنه، وذلك أنّ الشيطان سُلِّط على جسده ابتلاء من الله وامتحانًا، فنفخ في جسده، فتقرّح قروحًا عظيمة، ومكث مدة طويلة، واشتد به البلاء، ومات أهله، وذهب ماله(٦).

ويونس - عليه السلام- مصابه بإلقائه في البحر بسبب زيادة الحمل على السفينة ووقوعها عليه، فقال العزيز الحكيم: إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (٧).

وموسى- عليه السلام- بعد أن نبأه الذي جاء من أقصى المدينة وأخبره بهمّ القوم بقتله، فخرج من بلده خائفًا يترقّب، قال الله تعالى: فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨).

ومصاب سليمان - عليه السلام-بإلقاء جسدٍ على كرسيه، قال سبحانه: وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٩)،فألقينا على كرسيه جسدًا شيطانًا متمثلًا بإنسان(١٠).

وتأخّر الذرية عن زكريا - عليه السلام- مصيبة، قال - عزّ وجلّ- : قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (١١).

---

(١)انظر:الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٤٩/٩.
(٢)سورة يوسف: ١٥.
(٣)سورة يوسف: ٢٣.
(٤)انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، ص٣٤٩.
(٥)سورة الأنبياء: ٨٣.
(٦)انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص٥٢٨، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
(٧)سورة الصافات: ١٤٠-١٤٢.
(٨)سورة القصص: ٢١.
(٩)سورة ص: ٣٤.
(١٠)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٩٦/٢١.
(١١)سورة مريم: ٤-٥.

فأشدّ الناس بلاء هم الأنبياء، حيث أصيبوا ببلايا مختلفة، أصيبوا بالأمراض،وأصيبوا من أممهم بالقتل والضرب والشتم والحبس،فسنته سبحانه على سائر عباده نزول المصائب بهم(١).

فالأنبياء هم أشدّ في المصائب من غيرهم؛ لأنهم يتلذذون بالبلاء كما يتلذذ غيرهم بالنعماء، ولأنهم لو لم يبتلوا لتوهِّم فيهم بشيء من الربوبية، وليتوهن على الأمة الصبر على البلية، ولأنّه من كان أشدّ بلاء كان أشد تضرّعًا والتجاء إلى الله تعالى(٢).

وتؤكّد السنة أنّ أنبياء الله رسله– عليهم الصلاة والسلام- هم الأشدّ في البلاء؛ ليخفّ على العباد ما يصابون به من مصاب، فعن سعد –رضي الله عنه- أنه قال:سألت رسول الله -ﷺ-: أيّ الناس أشدّ بلاء؟ فقال:"الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان رقيق الدين ابتلي على حسب ذاك، وإن كان صلب الدين ابتلي على حسب ذاك، قال: فما تزال البلايا بالرجل حتى يمشي في الأرض وما عليه خطيئة"(٣).

فينبغي للمسلم الاقتداء بالأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام-، وقد أمرنا المولى بذلك، فقال –عزّ وجلّ-:لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٤)،فإنّ الإيمان يسهل على العبد كل عسير، ويوجب له الإكثار من الاقتداء بالأنبياء وعباد الله الصالحين،فإنه يرى نفسه مفتقرًا ومضطرًا إلى ذلك غاية الاضطرار(٥).

ومما ينبغي على المسلم النظرُ فيما ساقه الله لنا في كتابه عن الأنبياء والرسل في مصابهم، فهم رسل الله وأنبياؤه – عليهم الصلاة والسلام- ومع ذلك لم تصفُ لهم الدنيا، وكذلك التأمّل في منهجيتهم مع مصائبهم المتنوعة والمتفرقة سواء في جانب الدين أو النفس أو العرض أو المال، كل ذلك يدفع بالمسلم إلى توطين النفس، فهو أنموذجٌ حيٌّ يعطي طريقة مثلى في تلقّي تلك المصائب،ودرسٌ لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد.

المطلب الرابع: توطين النفس بمصاب النبيّ-ﷺ- وصحبه -رضي الله عنهم- في دنياهم

إنّ التأمّل في مصاب النبي -ﷺ- وفي أهله وصحبه - رضي الله عنهم- وهم خير الأمم يبعث في النفس الاطمئنان، ويدفع بها إلى توطين النفس على حوادث الأقدار، فليسوا بمعزل عن مصائب الدنيا ومنغصاتها، وقد بيَّن سبحانه في كتابه وبيّن المصطفى -ﷺ- في سنته ما يبيّن عددًا من المصائب التي لحقتهم في دنياهم،قال -ﷺ-:"يا أيها الناس أيما أحد من الناس أو من

(١)انظر: بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، ٤٥٠/٢، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦ه.

(٢)انظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله ابن حسام الدين الرحماني المباركفوري، ٢٥٦/٥، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند، ط٣، ١٤٠٤هـ.

(٣)مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (١٤٩٤)، ت:شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، إشراف:د عبد الله بن عبد المحسن التركي، إسناده حسن، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.

(٤)سورة الممتحنة: ٦.

(٥)انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٨٥٦.

المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعزّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإنّ أحدًا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشدّ عليه من مصيبتي"(١).

والوقوف والنظر في تلك المواطن جرعة استباقية وتهيئة للنفس قبل نزول المصاب، وملاذ ومخرج عند المصاب، قال سبحانه لنبيه محمد -ﷺ-وأمته بأنّ المصاب والابتلاء سنة في خلقه: إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٢)، فإن نالكم فينا مشقة فالذين تقدّموكم لقوا مثل ما لقيتم، وتمنّوا بمثل ما به تمنيتم، فمن صبر منهم ظفر وغنم، ومن ضجر من حمل ما لقي خسر وندم، والأيام نُوَبٌ والحالات دُوَلٌ، ولا يخفى على الحقّ شيء(٣).

وأعظم مصاب النبيّ -ﷺ- في معارضة قومه له عندما دعاهم إلى الإسلام، فوصفوه بأقبح الأوصاف والفعال، بالكذب والسحر والجنون، وهي سنة الله فيمن تصدّى لدعوة الناس، قال العليم الحكيم: كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٤)،ما مضوا من قبلهم من رسول من الرسل الكرام إلا قالوا لهم وفي حقهم ما ليس فيهم، يوصي بعضهم بعضًا حين دعوتهم إلى الإيمان والتوحيد بأنّ الداعية ساحر أو مجنون مثل ما يقول هؤلاء الحمقى في شأنك يا أكمل الرسل(٥). وقد سألت عائشة أمّ المؤمنين - رضي الله عنها- النبيَّ -ﷺ-:"هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت، فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إنّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال: يا محمد، فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي -ﷺ-: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا"(٦).

وتتوالى صنوف الأذية للنبيّ المصطفى -ﷺ-، فقد اضطرّ إلى الخروج من بلده المحبّب إلى قلبه، فقال القوي العزيز: إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا (٧).

وابتلي رسول الله -ﷺ- بمصاب حادثة الإفك في زوجه عائشة - رضي الله عنها- المبرأة من فوق سبع سماوات، فقال العزيز الحميد: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ

---

(١)سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة، (١٥٩٩)،٥١٠/١، ت:محمد فؤاد عبد الباقي،دار الفكر، بيروت، ب.ط، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢)سورة آل عمران: ١٤٠.

(٣)انظر: لطائف الإشارات، القشيري، ٢٨٠/١.

(٤)سورة الذاريات: ٥٢.

(٥)انظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، ٣٥٥/٢، دار ركابي للنشر، الغورية، مصر، ط١، ١٤١٩هـ.

(٦)الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله، كتاب بدء الوحي، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء: آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، (٣٢٣١)، ١٣٩/٤، دار الشعب، القاهرة، ط١، ١٤٠٧ه، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب ما لقي النبي -ﷺ- من أذى المشركين والمنافقين، (١٧٩٥)، ١٤٢٠/٣.

(٧)سورة التوبة: ٤٠.

لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ [١]،إنّ الذين جاءوا بالكذب والبهتان لا تظنوا ما جاءوا به من الإفك شرًّا لكم عند الله وعند الناس، بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين، وذلك أنّ الله يجعل ذلك كفارة للمرمي به، ويظهر براءته مما رمي به من ربه سبحانه ويعزّ شأنه، ويجعل له منه مخرجًا[٢].

فنبّه الله تعالى عائشة- رضي الله عنها- ومن ماثلها ممن ناله همٌّ في العرض بأنه ما أصابهم منه شرٌّ، بل هو خيرٌ على ما وضع الله الشر والخير عليه في الدنيا من المقابلة بين الضرّ والنفع، ورجحان النفع في جانب الخير، ورجحان الضرّ في جانب الشر[٣].

وتزخر السنة النبوية بمواقف تدفع بالمسلم إلى توطين النفس وتهيئتها على المصائب لاسيما المصيبة التي ليس للمرء فيها مناص ولا مفرّ، فسمى الله الموت مصيبة، قال تعالى: فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ [٤]، وسطرت لنا السنة بيت النبوة في وفاة ابن النبي -ﷺ-، فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال:"دخلنا مع رسول الله -ﷺ- على أبي سيف القين، وكان ظئرًا لإبراهيم - عليه السلام-، فأخذ رسول الله -ﷺ- إبراهيم، فقبّله وشمّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله -ﷺ- تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه-: وأنت يا رسول الله! فقال: يا ابن عوف، إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى، فقال - ﷺ-:"إنّ العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون"[٥].

وفي مرضه -ﷺ- سئل عن البلاء، فعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنه: دخل على رسول الله -ﷺ- وهو موعوك عليه قطيفة، فوضع يده عليه فوجد حرارتها فوق القطيفة، فقال أبو سعيد: ما أشدّ حماك يا رسول الله!، قال:"إنّا كذلك يشتدّ علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر"، فقال: يا رسول الله أيّ الناس أشدّ بلاء؟، قال: الأنبياء، ثم الصالحون، وقد كان أحدهم يبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يجوبها فيلبسها، ويبتلى بالقمل حتى يقتله، ولأحدهم كان أشدّ فرحًا بالبلاء من أحدكم بالعطاء"[٦].

والسحر الذي أصابه-ﷺ- كان مرضًا من الأمراض عارضًا شفاه الله منه، فإنّ المرض يجوز على الأنبياء وكذلك الإغماء، فقد أغمي عليه في مرضه ووقع حين انفكت قدمه وجحش،كما ابتلي بالذي رماه فشجه، وابتلي بالذي ألقى على ظهره السلا وهو ساجد، فليس ببدعٍ أن يبتلى النبي-ﷺ-[٧].

وينزل المصاب على المؤمنين يوم تكالب الكفار على حرب النبي -ﷺ-، ويصف الله حالهم من شدة الخوف، ويحقّق الله النصر لحزبه المؤمنين، ويأمرهم المولى –عزّ وجلّ-بتذكّر هذا الموقف العصيب؛ ليكون ذلك دافعًا إلى توطين الأنفس على الدوام ولا تنسى، قال القوي العزيز: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ

(١)سورة النور: ١١.
(٢)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١١٦/١٩.
(٣)انظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ٣٦٣/٣.
(٤)سورة المائدة: ١٠٦.
(٥)الجامع الصحيح، البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي -ﷺ- إنّا بك لمحزونون، (١٣٠٣)، ١٠٥/٢.
(٦)الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، كتاب المريض، باب هل يكون قول المريض إني وجع شكاية، (٥١٠)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٩ه، قال الألباني: صحيح.
(٧)انظر: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ٤٥٠/٢.

الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا [١]، وذلك عند تكالب الأعداء وتحزُّبهم لحرب النبي -ﷺ- وصحبه الكرام، حيث بلغ بهم الروع أن بلغت القلوب الحناجر؛ لأنّ الرئة تنتفخ من شدة الفزع، فيرتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم[٢].

ويوم حنين إذ حلّت بالمؤمنين الهزيمة بسبب إعجابهم بكثرتهم فهزموا، فقال سبحانه: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ [٣]،فلم يفدكم عددكم شيئًا، قليلًا ولا كثيرًا،فضاقت عليكم الأرض بما أصابكم من الهمّ والغمّ حين انهزمتم ثم أدبرتم منكسرين[٤].

ويصف المولى مصاب المهاجرين - رضي الله عنهم- مع فقرهم واضطرارهم إلى خروجهم من أوطانهم، فقال العزيز الكريم: لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ [٥]، فهؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، حتى أنّ الرجل منهم كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها، وينصرون دين الله الذي بعث به رسوله محمدًا -ﷺ-، وهؤلاء الذين وصف صفتهم من الفقراء المهاجرين هم الصادقون فيما يقولون[٦].

فالمصائب تتفاوت، وأعظمها المصيبة في الدين، وتتفاوت بحسب فخامة المصاب فيه وحقارته، فأعظمها أنفسها إلى أن تصل إلى شسع النعل والشوكة، فإنهما في غاية الحقارة، فإنّ حرّ المصيبة تنال من القلب بقدر ما فقد وتألم، وشسع النعل في غاية الخسة[٧].

فينبغي للمسلم الاستنان بالنبي-ﷺ-، قال –عزّ وجلّ-:لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا [٨].ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبّر الكتاب والسنة وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف أنّ خير قرون هذه الأمة في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة هو القرن الأول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام وأضلّه الله على علم[٩].

فالوقوف فيما نزل على النبي -ﷺ- وعلى أهله وصحبه - رضي الله عنهم أجمعين- توطينٌ للنفس على مصائب الدنيا وتهذيبٌ لها حال نزولها.

---

(١)سورة الأحزاب: ٩-١٢.
(٢)انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، ٩٣/٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ط.
(٣)سورة التوبة: ٢٥.
(٤)انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٣٣٢.
(٥)سورة الحشر: ٨.
(٦)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢٨١/٢٣.
(٧)انظر: غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، ٣٣٤/٢، مؤسسة قرطبة، مصر، ط٣، ١٤١٤هـ.
(٨)سورة الأحزاب: ٢١.
(٩)انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، ١٥٧/٤.

المطلب الخامس: توطين النفس بتحمل مصائب الدنيا المقبلة

إنّ الله بيّن لنا عددًا من المصائب التي سيصيب بها المسلم في حياته، فربما يصاب في دينه أو نفسه أو عرضه أو ماله، وأكّدت السنة النبوية على ذلك، قال الله سبحانه في معرض المصاب في الدين والافتتان عنه: لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ(١)،يخبر تعالى ويخاطب المؤمنين أنهم سيبتلون في أموالهم وأنفسهم ودينهم،فيطعن في الكتاب وفي الرسول؛ليتميز المؤمن الصادق من غيره، وفائدة ذلك توطين نفوسهم على وقوع ذلك(٢).وأخبر سبحانه عن سنته في عباده بجريان المصائب والابتلاءات عليهم، فقال العليم الحميد: وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (٣)،فأعلمهم بهذا ليكونوا على يقين بأنه يصيبهم، فيوطنوا أنفسهم عليه فيكونوا أبعد من الجزع والسخط والتحسّر، وفيه تعجيل ثواب الله تعالى على العزم وتوطين النفس(٤).

ويبين المولى - جلّت قدرته- عن الذين تركوا البلدان لأجل الدين وتحمّلوا تبعات ذلك، فقال –عزّ وجلّ-:وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥)، يخبر تعالى عمن خرج مهاجرًا في سبيل الله ابتغاء مرضاته، وطلبًا لما عنده، فترك الأوطان والأهلين والخلان، ومفارقة البلاد والأوطان لله ولرسوله، ونصرة لدين الله ليجزيهم عليها بأفضل الثواب وأعظم الجزاء(٦).

ويخبر سبحانه عن صنف من عباده أخرجوا من ديارهم قهرًا دون مسوغ إلا لإيمانهم بالله، فقال القويّ العزيز: الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧)، فبيّن تعالى ظلمهم لهم بهذين الوجهين: أحدهما: أنهم أخرجوهم من ديارهم، والثاني: أنهم أخرجوهم بسبب أنهم قالوا: ربنا الله،وليس لهم موجب لخروجهم من ديارهم سوى التوحيد(٨).

وبينت السنة الغراء أهمية توطين النفس على مصائب الدنيا عظمت أو صغرت، فعن النبي -ﷺ- قال:"ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا همّ، ولا حزن، ولا أذى، ولا غمّ حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه"(٩).

ويبين الذي لا ينطق عن الهوى أنّ المصائب التي يسوقها الله على عباده في دنياهم هو خير لهم، فاقتصاصهم في الدنيا خير لو لم يكن كذلك، قال رسول الله -ﷺ-:"إذا أراد الله بعبده

(١)سورة آل عمران: ١٨٦.
(٢)انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص١٦٠.
(٣)سورة البقرة: ١٥٥.
(٤)انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧٣/٢.
(٥)سورة الحج: ٥٨.
(٦)انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٤٧/٥.
(٧)سورة الحج: ٤٠.
(٨)انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٢٢٩/٢٣.
(٩)الجامع الصحيح، البخاري، كتاب الأشربة، باب ما جاء في كفارة اليمين، (٥٦٤٠)، ١٤٨/٧.

الخير عجّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشرّ أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة"[١].

والإنسان في هذه الدنيا لا يمكن أن يبقى على وتيرة واحدة،فلا يكون مسرورًا دائمًا، بل هو يومًا يسرّ ويومًا يحزن، ويومًا يأتيه شيء ويومًا لا يأتيه، فهو مصاب بمصائب في نفسه ومصائب في بدنه[٢].

وتسوق لنا السنة النبوية جانبًا من مواقف المصاب لمن يسلك طريق الرشد والهدى في مصابه بفقد ابنٍ له، وتبيّن السنة المطهرة هذا الحوار الدائر بين سؤال الله لملائكته وهو سبحانه أعلم بحال المصاب، وهذا يعطي أنموذجًا حيًّا موثوق المصدر على ماذا يقول المبتلى عند نزول المصيبة به، وهذا لا يكون إلا بتوطين مسبق، قال رسول الله -ﷺ-:"إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي!، فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده!، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟، فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله:ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسموه بيت الحمد"[٣].

وتتوالى التوجيهات النبوية في دفع المسلم وتهذيبه في كل أوقاته، وأهمها وقوفه عند مصابه بفقد إحدى عينيه،وذلك بتوجيهه بالصبر على المصاب امتثالًا لهدي الإسلام القويم، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه- قال: سمعت النبيّ -ﷺ- يقول:"إنّ الله قال إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة، يريد عينيه"[٤].

كما أنّ الدين الحنيف يبيّن ما ينبغي فعله عند المصاب، كذلك يبين الصورة السيئة ويحذّر من الاتصاف بها عند نزول المصيبة، فهذا كله توطينٌ للنفس وتهذيبٌ لها وحثٌّ على سلوك المنهج السوّيّ المستقيم، فعن النبي-ﷺ- قال:"ليس منّا من ضرب الخدود وشقّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية"[٥].

فمن المهم على المسلم توطين نفسه على مصائب الدنيا وكدراتها المتنوعة أن يكون هدي الإسلام حليفه ووثيقه؛ ليغنم بذلك جزيل الأجر وعظيم الثواب، وتطمئن نفسه وتستقر حاله بتمسّكه بهدي الشرع العظيم.

---

(١)الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، كتاب الزهد، باب الصبر على البلاء، (٢٣٩٦)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون.قال الشيخ الألباني: حسن صحيح، ٦٠١/٤.

(٢)انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ٢٤٣/١، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.

(٣)الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب الجنائز،باب فضل المصيبة إذا احتسب، (١٠٢١).

(٤)الجامع الصحيح، البخاري، كتاب الجنائز، باب ليس منا من ضرب الخدود، (١٢٩٧)، ١٠٣/٢، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، (٢٩٦).

(٥)الجامع الصحيح، البخاري، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، (٦٣٠٦)، ٨٣/٨.

المبحث الثاني: منهج الدعوة في تهدئة النفس عند حلول المصائب الدنيوية

إنّ من المسلمات التي ينبغي للمسلم أن يدركها نزول المصائب على العباد لغرض الامتحان والاختبار، والنفس بين جنبات الزمان تتقلب بين مدّ وجزر في طاعة الرحمن، ومن رحمة الله بالعباد أن ينزل عليهم صنوف الابتلاءات ليردّهم إلى جادة التعبّد للرحمن.

والابتلاءات كالدواء الذي يستخرج من الإنسان الأدواء التي لو بقيت فيه لأهلكته أو نقصت ثوابه وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء، ويستعدّ به لتمام الأجر وعلوّ المنزلة، ومعلومٌ أنّ وجود هذا خيرٌ للمؤمن من عدمه(١)؛لذا توجد من هدي الإله حال نزول المصائب مهام أساسيات ينبغي لمدرك رضا الرحمن العمل بها تقرُّبًا بها إلى الملك الديان؛ لينعم بالأجر والثواب، ويرفع عنها بإذنه الملمات، وهذا المبحث ينقسم إلى ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: الاعتراف إلى الله بالتقصير والإنابة إليه بالتوبة

إنّ من أسباب دفع البلاء ورفع المصاب الاعتراف إلى الله بالتقصير والإنابة إليه بالتوبة، فلله الحكمة البالغة والمشيئة النافذة، قال سبحانه: ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٢)، فيذيق الله عباده بصنوف من المصائب رحمة بهم وأملًا أن يرجعوا إلى امتثال أمر دينه، قال السميع البصير: ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٣)، ظهر الفساد في البرّ والبحر كالجدب وكثرة الحرق والغرق وإخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار، أو الضلالة والظلم، بما كسبت أيدي الناس بشؤم معاصيهم أو بكسبهم إياه، ليذيقهم بعض الذي عملوا، أي: بعض جزائه فإنّ تمامه في الآخرة، لعلهم يرجعون ويتوبون عما هم عليه(٤).

فالله عفوٌ يعفو عن الذنب ويفرح بتوبة عبده، ويسوق عليهم المصائب ليردعهم إلى جادة العبودية، قال العليم الحكيم: وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٥)،وما يصيبكم أيها الناس من مصيبة في دنياكم وفي أنفسكم وأهليكم وأموالكم، فإنما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لكم بما اجترمتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم، ويعفو ربكم عن كثير من إجرامكم، فلا يعاقبكم بها(٦).

والاعتراف بالذنب والرجوع عنه والتوبة إلى الله حال المصيبة أدعى لرفع المصاب، وتسكين النفس عن ضيق الصدر، قال سبحانه: وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧)، فدلّ على أنهم أذنبوا واعترفوا بذنوبهم، والاعتراف بالذنب مبالغة في المعرفة وكناية عن التوبة منه؛ لأنّ الإقرار بالذنب الفائت إنما يكون عند الندم والعزم على عدم العود إليه، ولا يتصور فيه الإقلاع الذي هو من أركان التوبة؛ لأنه ذنب مضى، ولكن يشترط فيه العزم على أن لا يعود(٨).

---

(١)انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، ١٨٨/٢، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥ه.
(٢)سورة آل عمران: ١٨٢.
(٣)سورة الروم: ٤١.
(٤)انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٢٠٨/٤.
(٥)سورة الشورى: ٣٠.
(٦)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٥٣٨/٢١.
(٧)سورة التوبة: ١٠٢.
(٨)انظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد

وسيّد الاستغفار الذي نذكره صباح مساء في يومنا وليلتنا تربية للمسلم على الرجوع والإنابة والتوبة على الدوام، وفي التقصير ونزول البليات آكد، فعن شداد بن أوس- رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ-قال:"سيّد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي، اغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: ومن قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة"(١).

وقد يبتلى العبد من الحسنات والسيئات، والسراء والضراء بما يحصل معه شكره وصبره، أم كفره وجزعه، وطاعته أم معصيته، فالتائب أحقّ بالابتلاء من غيره، فآدم أهبط إلى الأرض ابتلاء له، ووفقه الله في هبوطه لطاعته فكان حاله بعد الهبوطخيرًا من حاله قبل الهبوط(٢).

وما رفع ذنب إلا بتوبة، وتبديل حال عن حال يحتاج إلى تغيير من النفس ودفعها من المعصية للطاعة، قال سبحانه: ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣)، إنّ العذاب الذي أوقعه الله بالأمم المكذبين،وأزال عنهم ما هم فيه من النعم والنعيم، بسبب ذنوبهم وتغييرهم ما بأنفسهم، فإنّ الله لم يك مغيّرًا نعمة أنعمها على قوم من نعم الدين والدنيا حتى يغيّروا ما بـنفيهم، بل يبقيها ويزيدهم منها إن ازدادوا له شكرًا، ويستبدلها إن هم تغيّروا من الطاعة إلى المعصية، فيكفروا نعمة الله ويبدلوها كفرًا، فيسلبهم إياها ويغيّرها عليهم كما غيّروا ما بأنفسهم(٤)، ويؤكّد المولى –عزّ وجلّ- أنّ التحوُّل يبدأ من داخل الإنسان، قال العليم الخبير: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (٥)، وإذا كانوا في شدة ومحنة ومصاب لا يغيّر ما بهم من البلاء حتى يغيّروا ما بأنفسهم، وإذا أخذوا في التضرّع، وأظهروا العجز غيَّر ما بهم من المحنة بالتبديل والتحويل(٦).

وقاعدة نافعة مهمة أنه إذا ابتلى الله عبده بشيء من أنواع البلايا والمحن، فإن ردّه ذلك الابتلاء والمحن إلى ربه وجمعه عليه وطرحه ببابه فهو علامة سعادته وإرادة الخير به، وإن لم يرده ذلك المصاب إليه، بل شرّد قلبه عنه وردّه إلى الخلق وأنساه ذكر ربه والضراعة إليه والتذلّل بين يديه والتوبة والرجوع إليه فهو علامة شقاوته وإرادته الشرّ به(٧).

فينبغي للمسلم أن يتلمس هدي الدين عند نزول المصيبة به، ويتمسك به بالنواجذ، فمن لاذ بالله عصم ووقي، فيسارع بالرجوع إلى الله والتوبة من معاصيه، ويدفع بنفسه إلى التغيير والتبديل من حال إلى حال أفضل مما كان عليه، والسنة المطهرة تحمل صورًا حية في التغيير،ومن جملتها حديث الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا(٨)، فدفعته نفسه إلى التغيير والانتقال

الطاهر ابن عاشور التونسي، ٢١/١١، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

(١)الجامع الصحيح، البخاري، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، (٦٣٠٦)، ٨٣/٨.

(٢)انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، ٣٢٣/٨.

(٣)سورة الأنفال: ٥٣.

(٤)انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٣٢٤.

(٥)سورة الرعد: ١١.

(٦)انظر: لطائف الإشارات، القشيري، ٢٠١/٢.

(٧)انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، ص٢٥٩.

(٨)جاء الحديث في سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب

من بلد إلى بلد بعدًا عن مكان المعصية التي دفعته إلى القتل، وحال المصاب بمصيبة إن رام المنهج الشرعي فعليه أن يبادر ويعود إلى ربه لتسكن نفسه.

المطلب الثاني: الصبر على المصيبة حتى يأذن الله برفعها

إنّ من مقاصد المصائب الامتحان وابتلاء الممتحن ليجازيه ربّ البريات على امتثاله لهديه، قال سبحانه: أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (١)،أنّ الناس لا يتركون بغير اختبار ولا ابتلاء، فليس الأمر كما حسبوا، بل لا بدّ أن يختبرهم مولاهم حتى يتبين المخلص من المنافق، والصادق من الكاذب، فالآية مسوقة لإنكار ذلك الحسبان واستبعاده، وبيان أنه لا بدّ من الامتحان بأنواع التكاليف وغيرها(٢).

فإذا علم المسلم هذا المقصد، وأدرك الهدف لزم عليه الاستعانة بالله والصبر عليه، قال تعالى: إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣)، وخلق الله الإنسان في كبد في هذه الدنيا، قال العليم الحكيم: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ (٤)،في مشقة وكفاح يكابد أمر الدنيا وأمر الآخرة،ولا أعلم خليقة يكابد من الأمر ما يكابد هذا الإنسان(٥).

فينبغي للمسلم المصاب بمصيبة ومحنة أن يتذكر نعم الله عليه التي لا ساحل لها، ومصابه مجرد نقطة في بحر لجي، قال العزيز الغفار: وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦)، فالحرّ لا يكفر النعمة المسداة، ولا يتسخط من المصيبة، بل عند النعم يشكر وعند المصائب يصبر(٧).

وكذلك ينبغي للمصاب بمصيبة أن يلزم هدي الإسلام ويمتثل حلية الموحدين، قال العليم الحكيم: إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٨)،وقد صبر الأنبياء من قبلُ على ما أتاهم من مصاب، فأثنى الله عليهم بما اتّصفوا به من كريم الخصال، قال تعالى: فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (٩)،

وقال –عزّ وجلّ-: وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (١٠).

المطلب الثالث: صدق الالتجاء إلى الله بالدعاء

إنّ من الأمور المؤنسة والمعينة على انفراج المصائب ورفع الكروبات حال نزولها على الإنسان أن يلتجأ إلى الله بالدعاء، فيكون دعاؤه خالصًا لوجه الله الكريم، فالله هو الذي قدّر مقادير كل شيء، وإليه يلتجأ إليه،وهو نعم المولى ونعم النصير، فيدعوه المصاب بأن يرفع عنه

الديات، باب هل لقاتل مؤمن توبة، (٢٦٢٢)، ٨٧٥/٢، دار الفكر، بيروت،قال الشيخ الألباني: صحيح.

(١)سورة العنكبوت: ٢.

(٢)انظر: فتح القدير، الشوكاني، ٣٥٣/٣.

(٣)سورة الزمر: ١٠.

(٤)سورة البلد: ٤.

(٥)انظر: الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ٥١٩/٨، دار الفكر، بيروت، ب.ط.

(٦)سورة النحل: ١٨.

(٧)انظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ التميمي، ص٢٦٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٧ه.

(٨)سورة الزمر: ١٠.

(٩)سورة الصافات: ١٠٢.

(١٠)سورة الأنبياء: ٨٥.

ما نزل به من مصاب، قال سبحانه: وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ [١]،لم يرد به القول النطقي فقط، بل أراد ذلك إذا كان معه اعتقاد وعمل[٢].فجعل الله تعالى هذه الكلمات ملجأ لذوي المصائب، وعصمة للممتحنين لما جمعت من المعاني المباركة، بإقرار التوحيد لله والعبودية والملك له سبحانه، وإقرار بالهلك على أنفسنا والبعث من قبورنا، واليقين أنّ رجوع الأمر كله إليه كما هو له[٣].

قال بعض السلف، وقد عزى على مصيبة نالته، فقال: مالي لا أصبر، وقد وعدني الله على الصبر على البلاء ثلاث خصال كل خصلة منها خيرٌ من الدنيا وما عليه[٤].

والشكاية إلى الله حال المصيبة عبادة، فقال العليم الحكيم: قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ [٥]،فشكا إلى الله ولم يشك من الله، ومن شكا إلى الله وصل، ومن شكا من الله انفصل، ومن شكا إلى الله وجد الخلف منه[٦].

والالتجاء إلى الله مسلك طريق المهتدي عند حلول المصائب، قال العزيز الحكيم: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ [٧]،أمدح للصحابة - رضي الله عنهم- من التعبير عمن أخبرهم ومن جمع لهم بخاص اسمه أو وصفه، ولما كان الموجب لإقدامهم على اللقاء بعد هذا القول الذي لم يشكوا في صدقه ثبات الإيمان وقوة الإيقان،فزادهم هذا القول إيمانًا، فمن يلتجئ إلى الله حال مصيبته يثبته الله على الإيمان ويزيده إيمانًا مع إيمان، ولن تشغله مصيبته أو تثنيه عن طاعة الله ورسوله[٨].

ومع الالتجاء إلى الله يحسن بالمصاب بالمصيبة أن يدعو الله بإزالتها عنه، وهذا منهج الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام- حال مصابهم ومحنتهم، فقد دعا نوح - عليه السلام- عندما لم يستجيبوا لدين ربهم بعد أمدٍ طويلٍ من الدعوة إلى الله، فقال العليم الكريم: فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ[٩].

ودعا يوسف – عليه السلام - حال امتحانه ومصابه بفتنة النساء اللاتي قطّعن أيديهنّ، فقال –عزّ وجلّ-: قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ

---

(١)سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧.
(٢)انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ٣٠٥/٤، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
(٣)انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧٦/٢.
(٤)انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، ص٧٣، دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤٠٩هـ.
(٥)سورة يوسف: ٨٦.
(٦)انظر: لطائف الإشارات، القشيري، ٢٠١/٢.
(٧)سورة آل عمران: ١٧٣.
(٨)انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ١٣٠/٥، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ب.ط.
(٩)سورة القمر: ١٠-١٥.

كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [١]، فعند ذلك استعاذ يوسف - عليه السلام- من شرّهنّ وكيدهنّ من دعوتهنّ له بالفاحشة،فإن وكلتني إلى نفسي فليس لي من نفسي قدرة، ولا أملك لها ضرًّا ولا نفعًا إلا بحولك وقوتك، أنت المستعان وعليك التكلان، فلا تكلني إلى نفسي،فعصمه الله عصمة عظيمة، وحماه فامتنع من الفاحشة أشدّ الامتناع، واختار السجن على ذلك، خوفًا من الله ورجاء ثوابه[٢].

وقال سبحانه عن دعاء أيوب - عليه السلام- والتجائه إليه حال مصابه بالضرّ، فقال – عزّ وجلّ-: وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ[٣]،واذكر أيوب يا محمد، إذ نادى ربه وقد مسّه الضرّ والبلاء والمصاب، فاستجبنا دعاءه إذ ناداناه، فكشفنا ما كان به من ضرٍّ وبلاءٍ وجهدٍ، وكان الضرّ الذي أصابه والبلاء الذي نزل به امتحانًا من الله له واختبارًا[٤].

وعن صاحب الحوت يونس - عليه السلام- عندما ابتلعه الحوت واجتمع عليه الغم،قال سبحانه: وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ[٥]،غاضب قومه وغاضبوه حين لم يؤمنوا في أول الأمر، فدخل البحر حتى التقمه الحوت وصار في ظلمة جوفه، فنادى ربه معترفًا بذنبه داعيًا إليه بأن ينجيه فيما هو فيه، فاستجاب الله تعالى له وأخرجه إلى البرّ[٦].

وزكريا - عليه السلام-دعا ربه بعد مصابه بتأخّر إنجاب الذرية، فقال –عزّ وجلّ-: وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ [٧]،وزكريا إذ دعا ربه، ربِّ لا تذرني فردًا وحيدًا لا ولد لي ولا عقب، وارزقني وارثًا، ثم ردّ الأمر إلى الله سبحانه، فقال وأنت خير الوارثين، فاستجبنا له، فجعلنا زوجه ولودًا بعد ما كانت عقيمًاسيئة الخلق، فأصلحها الله له بأن رزقها حسن الخلق[٨].

قلما كان رسول الله -ﷺ- يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا، ومتِّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلّط علينا من لا يرحمنا"[٩].

---

(١)سورة يوسف: ٣٢-٣٤.
(٢)انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٨٧/٤.
(٣)سورة الأنبياء: ٨٣-٨٤.
(٤)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٤٨٣/١٨.
(٥)سورة الأنبياء: ٨٧-٨٨.
(٦)انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، ٩٧/٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
(٧)سورة الأنبياء: ٨٩-٩٠.
(٨)انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، دار إحياء التراث العربي، ٣٠٥/٦، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
(٩)الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ٨٠، (٣٥٠٢)،٥٢٨/٥. قال الشيخ الألباني: حسن.

فإنّ الدعاء مشروعًا ولا ينفع إلا به، إلا أنه لا ينبغي للداعي أن يستعجل، بل يتعبد بالصبر والدعاء والتسليم إلى الحكيم[١]،فينبغي للمصاب ألّا يغفل عن الالتجاء إلى الله ودعائه في مصابه بأن يرفع عنه وأن يجزيه بحسن الثواب.

(١)انظر: صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ص١٧٠، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٥ه.

المبحث الثالث: ثمرات التمسّك بمنهج الدعوة حال المصائب الدنيوية

إنّ المصائب ليست شرًّا محضًا، بل فيها من الخير الشيء الكثير. ذكر ربنا في قصة حادثة الإفك أنها ليست شرًّا، بل فيها من الخير، قال سبحانه: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ (١)، فحقيقة الخيرما زاد نفعه على ضرّه، وحقيقة الشرّ ما زاد ضرّه على نفعه، وأنّ خيرًا لا شرّ فيه هو الجنة، وشرًّا لا خير فيه هو جهنّم؛ ولهذا صار البلاء النازل على الأولياء خيرًا؛ لأنّ ضرره من الألم قليلٌ في الدنيا، وخيره وهو الثواب كثيرٌ في الآخرة(٢).وللتمسّك بمنهج الدعوة حال المصاب فوائد. فملاحظة المصاب بحسن الجزاء، وعلى حسب ملاحظته والوثوق به ومطالعته يخفّ حمل البلاء لشهود العوض على المصاب(٣). وباطلاع المسلم على ثمرات المصائب يتخفف من المصائب، ويعينه ذلك على الصبر واحتساب الأجر والثواب، وفي هذا المبحث بيان جزءٍ من الثمرات المرجوّة ما دام المسلم متمسّكًا بمنهج الدعوة حال المصاب؛ليغنم مع ربّه بتجارة لن تبور، وينقسم المبحث إلى ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تقرير العبودية لله سبحانه

إنّ المصائب التي يسوقها الله على عباده في هذه الدنيا بمحض إرادته وعلمه وقبل أن يخلق السموات والأرض، فداعي التوحيد حاضرٌ ببواعث المصائب، فليس للإنسان أو أيّ مخلوق دخلٌ فيها، وإنما أقدار مقدرة يسوقها الله على عباده. فمصيبة تقبل بها على الله خيرٌ لك من نعمة تنسيك ذكر الله فتخسر دينك ودنياك(٤)،قال العزيز الحكيم: مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٥)،لم يصب أحدًا من الخلق مصيبة إلا بإذن الله،وبقضاء الله وتقدير ذلك عليه،ومن يصدق بالله ويعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه(٦).

ومؤشر التوحيد لا يقتصر على منشأ المصيبة الآنية فحسب، بل يتعدى ذلك ليشمل ماقبل خلق السموات والأرض، قال العليم الكريم: مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧)، بيَّن سبحانه أنّ ما يصاب به العباد من المصائب قد سبق بذلك قضاؤه وقدره، وثبت في أمّ الكتاب، من قبل أن نخلقها،وإنّ ذلك على الله يسير، وإثباتها في الكتاب على كثرته على الله يسير غير عسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم،واختبرناكم بذلك لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم في دنياكم ولا تفرحوا بما آتاكم منها(٨).

ومن ثمرات المصائب الرجوع إلى الله والالتجاء إليه، وهو مقصود من المصائب والثمرات المرجوة منها؛ لذا لام الله –عزّ وجلّ- من يصيبهم بأسٌ من ربهم لا يتضرعون إليه،

---

(١) سورة النور: ١١.
(٢) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ٣٦٣/٣.
(٣)انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، ١٦٦/٢.
(٤)انظر: تسلية أهل المصائب، محمد بن محمد بن محمد، شمس الدين المنبجي، ص١٧٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ.
(٥) سورة التغابن: ١١.
(٦)جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٤٢١/٢٣.
(٧) سورة الحديد: ٢٢.
(٨)انظر: فتح القدير، الشوكاني، ٢١١/٥.

قال سبحانه: فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١)، وهذا عتاب على ترك الدعاء، والإخبار عنهم أنهم لم يتضرعوا حين نزول المصاب بإحلال العذاب، ويجوز أن يكونوا تضرّعوا تضرُّعَ من لم يخلص، أو تضرَّعوا حين لابسهم العذاب، والتضرُّع على هذه الوجوه غير نافع، والدعاء مأمورٌ به حال الرخاء والشدة(٢).

وقد مدح الله قوم يونس - عليه السلام- حين آمنوا بالله، فكشف عنهم العذاب، قال السميع البصير: فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ(٣)، وهذا الإيمان هو عند نزول العذاب،وبعد أن دعا يونس- عليه السلام- قومه، وأنذرهم بالعذاب وخرج من بينهم، فلما رأوا العذاب شبه النيران في السماء خرجوا من بلدهم إلى الصحراء، وفرّقوا بين الأولاد والأمهات والبهائم والأجنّة، وضجّوا إلى الله تعالى ضجّة واحدة يجأرون، فكشف الله عنهم العذاب بعد أن رأوه عيانًا، ولم يفعل هذا بأحد غيرهم، فكشف الله عنهم العذاب إلى أجل معلوم(٤).

ويؤكّد المصطفى -ﷺ- على أنّ مصاب المؤمن كله خيرٌ، ويبيّن المنهج القويم حال السراء والضراء بلزوم العبودية لله سبحانه، قال -ﷺ-:"عجبًا لأمر المؤمن إنّ أمره كلّه خيرٌ، وليس ذاك لأحدٍ إلّا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له"(٥).

وليعلم المسلم أنّ الله يربّي عبده على السراء والضراء والنعمة والبلاء، فيستخرج من عبوديته في جميع الأحوال، فإنّ العبد على الحقيقة من قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال، فلا ريب أنّ الإيمان الذي يثبت على محلّ الابتلاء والعافية هو الإيمان النافع وقت الحاجة وفي مدلهمات الأزمان، وأمّا إيمان العافية فلا يكاد يصحب العبد ويبلغه منازل المؤمنين، وإنما يصحبه إيمان يثبت على البلاء والعافية(٦).

فينبغي للمسلم أن يستشعر هذه الثمرة حال مصابه في بلواه، ويتأمّل توجيهات نبينا محمد -ﷺ-لابن عباس - رضي الله عنه- التي رواها في قوله:كنت خلفت رسول الله -ﷺ- يومًا فقال:"يا غلام، إنّي أعلّمك كلماتٍ: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"(٧)، فحريٌّ بالمسلم أن يلزم طريق العبودية في كل أحواله وبجميع أوقاته، وأدعى بلزومها حال مصابه.

---

(١) سورة الأنعام: ٤٣.
(٢)انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤٢٥/٦.
(٣) سورة يونس: ٩٨.
(٤)انظر: تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، ٤٠٥/٢، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.
(٥)صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، (٢٩٩٩).
(٦)انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، ص ٤١٧.
(٧)الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب، (٢٥١٦)،٦٦٧/٤.
قال الشيخ الألباني: صحيح.

المطلب الثاني: تمييز الصادق بمجاهدته في الله

إنّ من ثمرات المصائب ابتلاء المصاب في إيمانه، فليس كل من يدّعي الإيمان مؤمنًا حقًّا؛ لذا ينزل المصائب على عباده؛ ليمحصهم ويختبرهم ليظهر صادقهم وهو أعلم بهم، قال سبحانه: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (١)، نختبركم حتى يظهر المجاهد والصابر من المنافق والمضطرب، ونبلوا أخباركم التي تحكي عنكم(٢).

يا بُنَيَّ، المصيبة ما جاءت لتهلك، وإنما جاءت تختبرك وتمتحن صبرك وإيمانك، يا بُنَيَّ، القدر سبع، والسبع لا يأكل الميتة، فالمصيبة كير العبد فإما أن يخرج ذهبًا أو خبثًا(٣). وتكرر الآيات المؤكدة على أنّ من ثمرات المصاب نزوله للاختبار والامتحان، قال الله تعالى: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٤)،وابتلاء الله عبده في الدنيا ليس من سخطه ولا انتقامًا منه، بل إما لدفع مكروه أو لكفارة ذنوب أو لرفع منزلة، فإذا تلقّى ذلك بالرضا تمّ له المراد وإلا يصبر(٥).

فينبغي للمسلم العاقل أن يمتثل منهج الإسلام حال المصاب ليحظى عند الرحمن بجزيل الثواب وعظيم الأجر والجزاء.

المطلب الثالث: إنّ عظم البلاء من عظم الجزاء

إنّ من ثمرات المصائب التي ينزلها الله على عباده في دنياهم، وتعتبر مؤنسة للمسلم حال استشعاره بذلك كونها علامة خير للمسلم، فعن أنس- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ:"إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشرّ أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة"(٦).وإنّ الفوائد والحكم الربانية في المصائب تتمثل في أشياء عظيمة، منها أنّ الله هيّأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم، فقيّض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا إليها(٧)،قال سفيان الثوري- رحمه الله-: لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة(٨). وكلما ازداد المصاب بالمسلم كلما عظم أجره، فإنّ عظم البلاء من عظم الجزاء، قال الحسن البصري - رحمه الله: "لا تكرهوا النقمات الواقعة والبلايا الحادثة فلربّ أمر تكرهه فيه نجاتك، ولرب أمر تؤثره فيه عطبك"(٩). فليست المصائب شرًّا محضًا، وإنما فيها من الخير الشيء الكثير، فعن النبي -ﷺ-قال:"إنّ عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإنّ الله

---

(١) سورة محمد: ٣١.
(٢)انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ١٣٨/٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
(٣) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية، أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، ١٨٢/٢، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ.
(٤) سورة محمد: ٣١.
(٥)انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ١١٦/١٠.
(٦)الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب الصبر على البلاء، (٢٣٩٦)، ٦٠١/٤.
قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.
(٧)فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ٣٤٧/٧.
(٨)الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، ٩٤/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٢٧١ه.
(٩)شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابنقيم الجوزية، دار المعرفة، ص ٣٤، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ.

إذا أحبّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط"[١].فكلما عظم البلاء كلما عظم الجزاء؛ لأنّ الله - عزّ وجلّ- ذو فضل وكرم على الناس، فإذا ابتلاهم بالشدائد أعطاهم عليها الأجر الكبير، وإذا هانت المصائب هان الأجر، إذا ابتلى بالمصيبة فلا يظنّ أنّ الله سبحانه يبغضه، بل قد يكون هذا من علامة محبة الله للعبد، فإذا رضي الإنسان وصبر واحتسب فله الرضى، وإن سخط فله السخط[٢].

والقول بالتوجيه الشرعي "إنّا لله وإنّا إليه راجعون"تنبيهٌ للمصابين، إما بالخلف وإما بالثواب الجزيل،وصلاة الله على عبده عفوه ورحمته وبركته وتشريفه إياه في الدنيا والآخرة[٣].

ويتضح مما سبقأنّ عظم البلاء من عظم الجزاء، وهذه ثمرة من ثمرات التمسّك بمنهج الدعوة حال المصائب الدنيوية، وبالنظر فيها يهون على المسلم مصابه في دنياه، ويأمل الأجر من مولاه في آخرته.

(١)الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب الصبر على البلاء، (٢٣٩٦)، ٦٠١/٤.
قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.
(٢)انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ٢٥٩/١.
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧٧/٢.

الخاتمة

الحمدلله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصلاة والسلام على الرسول الأميّ الأمين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أحمد ربي على التسهيل والتيسير والإعانة على استكمال هذا البحث المعنون بـــ**"منهج الدعوة في توطين النفس على مصائب الدنيا وثمراته"**، ولا أدّعي العصمة ولا الكمال ولا التمام،وإنما أسأل الله أن يعذرني على النقص والزلل والخطأ، وأن يجزيني على البحث خيرًا، إنه رحيم جواد كريم.

في خاتمة هذا البحث، توصّل الباحث إلى نتائج وتوصيات، وهي على النحو الآتي:

أوّلًا: النتائج

١.أنّ ما في نصوص الشريعة الغراء ما يكفي لتوطين النفس وتهدئتها قبل نزول المصيبة والنكبات وعند حلولها، مع ضرورة الأخذ بالأسباب المشروعة كعلاج طبي إذا استلزم الأمر ذلك، ولا ثمة تعارض بينهما، بل الشريعة تأمر به.

٢.أنّ كثيرًا من الحالات التي يتعرض لها المسلم من صدمات مفجعة مفاجئة ولا تصمد النفس لها، يعود السبب إلى عدم التوطين النفسي.

٣. أنّ كثيرًا من أفراد المجتمع يضيق بهم الفكر عن شمولية مقاصد المصائب والابتلاءات، فيقتصروها على أنّ أصحابها من أصحاب المعاصي والزلات.

٤.أنّ الأنبياء والرسل– عليهم الصلاة والسلام- ليسوا بمنأى عن المصائب والابتلاءات، وقد أصيب كثيرٌ منهم بمصائب مختلفة ومتعددة.

٥. أنه تظهر بين فترة وأخرى ممن يريدون صدّ العباد عن ربّ العباد بقطع المسلم عن طريق الاعتصام بمنهج الدعوة في المصائب الدعوةُ إلى استبداله بثقافات مستوحاة من ديانات شركية بغرض تسكين النفس عن المصاب.

٦.أنّ الهداية مهمة للغاية ومطمع كل مسلم، وهي أساس في توطين النفس قبل حلول المصائب بالإنسان؛ لذا يجب على الإنسان أن يسألها من الرحمن ليل نهار لينال بها المنافع الدنيوية والأخروية.

٧.أنّ الإيمان بالقدر خيره وشره لا يعلم قدره إلا من وفقه ربه لهداه، ويسوق الله لنا الآيات في الأنفس والآفاق؛ ليتضح صدق الإيمان بالقدر، ممن يسلبون الإيمان به بكثرة المنتحرين وعجز نفوسهم عن تحمّل المصائب والأكدار.

٨.أنّ في تكرار بيان قصص الرسل والأنبياء– عليهم الصلاة والسلام- وسرد قصصهم للعباد عبرة للمعتبر وتوطينًا للنفس وتهذيبًا لها قبل نزول المصاب.

٩.أنّ عصمة الأنبياء في الكبائر دون الصغائر كما قرره أهل العلم، وينزل بهم المصاب؛ ليكون ذلك توطينًا للنفس قبل حلول المصاب.

١٠.أنّ بيت النبوة لم يخلُ من المصائب الدنيوية من مرض ووفاة وافتراء في حادثة الإفك، فبالنظر في تلك المواقف تتقوى النفس على تحمّل المصاب وتهدئة الخاطر.

١١.أنّ الله بيَّن في كتابه العزيز وأكدت السنة شيئًا من مصائب في الدين والنفس والعرض والمال، وأنها تنزل على العباد حتمًا، فيلزم من ذلك استعدادالنفس لتلقّيها إذ لا مناص.

١٢.أنّ الدين الحنيف لم يغفل عن بيان المنهج القويم للمسلم حال نزول المصاب، فهناك أقوال تقال تعبُّدًا حال المصاب، مثل: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ويترتب عليه الأجر والثواب.

١٣. أنّ الاعتراف بالتقصير وسرعة الإنابة إليه بالتوبة سبل الهدى لمن نزل به المصاب.
١٤.أنّ الصبر توجيه ربّ العباد ومنهج الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام- عند نزول البلاء والمصاب، والالتجاء إلى الله بالدعاء لمن أراد أن يرفع عنه البلاء.

ثانيًا: التوصيات

١. توصية الدعاة إلى الله بدعوة المسلمين على ضرورة امتثال هدي الإسلام الحنيف ودفع النفس إلى توطيدها على مصائب الدنيا ومنقصاتها.
٢. توصية القائمين على المراكز الإصلاحية بسلوك منهج الدعوة حال المصاب بالالتجاء إلى الله والتوبة والإنابة والدعاء؛ ليكون سببًا ومعينًا على الإصلاح المعنوي، ولا يُغْفَل عن معالجة المشاكل القائمة ومعرفة أسبابها.
٣. توصية القائمين على إدارات الإرشاد الروحي للمرضى بوزارات الصحة بالاهتمام بتوطيد النفس على تحمّل المصائب عند نزولها،وذلك عبر وسائل دعوية تتواءم مع حال المستهدفين.
٤. توصية القائمين على المناهج التعليمية بتخصيص دروس مختصة بجانب توطيد النفس وتهيئتها على المصائب في المقررات الإسلامية.
٥. توصية الأطباء النفسيين من المسلمين على ربط المصاب جراء صدمات نفسية بشرع الله القويم، وعدم اقتصار العلاج على دواء ماديّ صرف.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الآداب الشرعية والمنح المرعية، أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ.
- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٩ه.
- أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ط.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ١٤١٥هـ.
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥ه.
- اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤١٩هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- البحث العلمي، د.عبد الرحمن عدس وآخرون، ط: ١، ١٤١٦ه، دار أسامة، الرياض.
- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، ب.ط.
- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦ه.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
- تسلية أهل المصائب، محمد بن محمد بن محمد، شمس الدين المنبجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ.
- تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
- الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله، دار الشعب،

القاهرة، ط١، ١٤٠٧ه.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.
- جامع المسائل لابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٢٧١ه.
- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ب.ط.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، ط١٤، ١٤٠٧ه.
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار الفكر، بيروت، ت:محمد فؤاد عبد الباقي، ب.ط.
- شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ.
-الصارم المسلول على شاتم الرسول، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، ب.ط.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
-الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، دار ابن حزم، قبرص، بيروت، ط١، ١٤١٦ه.
- صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٥ه.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، دار ابن القيم، الدمام، ط٢، ١٤١٤ه.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤٠٩هـ.
- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة قرطبة، مصر، ط٣، ١٤١٤هـ.

- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ه.
-فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
- الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣ه.
- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، دار ركابي للنشر، الغورية، مصر، ط١، ١٤١٩هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
-الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣.
- مجموع فتاوى ابن تيمية، ت:عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ، ط٢.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣ه.
- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند، ط٣، ١٤٠٤هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت:شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، إشراف:د عبد الله بن عبد المحسن التركي، إسناده حسن، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.
-مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ب.ط.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، ٤٨٧/٤، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان.